المناضلون .. ذكريات حدث لاينسى

الحديث عن الثورة ذو شجون يحرك المشاعر ليغوص بنا باتجاه اكثر من أربعة عقود من الزمن لنسبر في أعماق هذا الحدث الإنساني الثوري الذي غير مجرى التاريخ إلى الابد واخرج الشعب اليمني من ظلمات الإمامة الكهنوتية إلى اركان العصر الحديث بكل تجلياته.

وعندما يتحدث المناضل اللواء علي عبد الله السلال عن دوره في الثورة فانه يؤكد انتمائه بصلة حميمة لهذا الحدث ويكشف أوراقاً جديده تتصل بكيفية قيادة والده المشير عبد الله السلال لقيادة الثورة وتحمل مسئولياتها، وماذا قال المشير السلال عن الكلبة ((لايكا)) محرضاً على سرعة تفجير الثورة السبتمبرية.

المناضل اللواء علي عبد الله السلال عضو مجلس الشورى حاليا يسرد وقائع ساعة الصفر ومشاركته فيها في حديث جديد لصحيفة " الثورة " والكثير من الوقائع .. فإلى المحصلة

حاوره/ عبدالملك السلال

الثورة السبتمبرية في ذاكرة المناضل علي عبدالله السلال:

الثورة السبتمبرية أخرجت اليمن من ظلمات التخلف الإمامي الى واقع العصر الحديث بكل تجلياته

جهود مشكورة لفخامة رئيس الجمهورية في التخفيف عن مناضلي الثورة

نجاح المهمة الموكلة الينا من تنظيم الضباط الأحرار باعتقال أهم عناصر النظام الإمامي -ساعة الصفر- أدى الى تأمين الثورة من أعدائها

الجيشين قبل أن يتمكنا من مقاومة الثورة وهي قصة طويلة شرحتها في مذكراتي ٠

موقف طريف

● ما هو أطرف موقف تعرضتم له ليلة الثورة أو قبلها ؟

– لم تكن هناك ثمة مواقف طريفة أو مضحكة ليلة الثورة السبتمبرية فقد كنا جميعا مشدودين بحماس وقوة وشجاعة لأحداث هذه الليلة المباركة وتنفيذ المهام بكل دقة وانضباط في نطاق الالتزام الجماعي ٠٠ ومع ذلك يمكن ذكر موقف من هذا القبيل فيه نوعا من الطرافة فقد كنا نشرح لأمير الجيش النظامي الزعيم محمد الضمين بان الإمام البدر قد أرسلنا بعد اتصال هاتفي بمدير شرطة باب اليمن الرائد حسين الدفعي ليدعوه مع أمير الجيش الدفاعي للخروج الى العرضي (الثكنات العسكرية) لمحاكمة بعض الضباط الذين أثاروا شغبنا ضد الإمامة وقد اعتقل معظمهم وقتل البعض والباقي يتم مطاردتهم فسألني أمير الجيش النظامي: وأين الإمام وأبوك والضبي ؟

فأجبته بأنهم جميعا في العرضي وفجأة دخل علينا النقيب المرحوم علي العمري – شقيق الفريق البطل حسن العمري رحمه الله – وصاح بصوت عال ثورة ٠٠ثورة ٠٠ لقد قامت ثورة والثوار الآن يضربون قصر الإمام – دار البشائر – بكل قوة فالتفت أمير الجيشان الدفاعي والنظامي إلي وفي عينيهما نظرة غضب واستغراب فعقبت على الكلام الذي سمعاه بقولي:

حتى لو كان هناك ثوره كما ذكر العمري فإن من أوجب واجباتكما المشاركة في حماية الإمام فسمعنا لنصيحتي وخرجا ومعهما جند كثيرون يفوقون عددنا عشرين مرة أو أكثر ولذلك فقد تمكنا من الهرب عند وصولنا باب اليمن – كما ذكرت– وقصدنا ثكنة المدفعية ٠

ثورة لإنقاذ الشعب

● برأيكم هل أستفاد الضباط الأحرار والثوار من أخطاء ثورة ٤٨ ومساهي العوامل التي ساعدت على نجاح الثورة السبتمبرية ؟

– كانت الظروف غير مواتية تماما لتفجير الثورة في تلك الأيام لأن القوه التي كان تنظيم الضباط الأحرار يملكها لا تساوي١٠٪ من قوة الإمام ,و كانت المغامرة بقيام ثورة عبارة عن حركة فدائية ساعد على نجاحها إيمان ضباط الثورة وقائدها والمشاركين بها وقد عزموا على ملاقاة الموت في ليلة السادس والعشرين من سبتمبر بدلا من الصبر على حكم الذل والهوان والبطش والتنكيل الذي كان يمارسه الحكم الإمامي الكهنوتي ضد الشعب بجميع فئاته رغم أن فرص النجاح لا تساوي بالعلم العسكري ٢٠٪ فوهبوا بشجاعتهم وإقدامهم على تفجير الثورة الحياة لشعبهم منتزعين النصر في تلك الليلة الخالدة ا نتزاعا٠

ولم نكن نتمنى جميعا إلا أن نستشهد في سبيل إنقاذ شعبنا من ذلك الحكم الإمامي الظالم المتخلف الذي مع زيادة بطشه وجبروته ترسخت القناعة اكثر بانه لن يتغير في يوم من الأيام وحتى قيام الساعة٠

و لولا الثورة السبتمبرية الخالدة لظلت اليمن مجهولة يطويها النسيان,و الذي عبر قائد الثورة عن هذا الوضع قبل قيامها بأيام بقوله (السكوت على الوضع عار علينا وقد وصلت الكلبة الروسية– لايكا – الى الفضاء ومازال شعبنا يئن تحت وطاة الثالوث المخيف – التخلف والجهل والمرض)٠

● كيف تصفون شعوركم تجاه إسهامكم في حدث ثوري غير مجرى التاريخ وحرر الإنسان اليمني من رق العبودية والإذلال الإمامي الكهنوتي ؟

اللواء/ علي عبدالله السلال.

– مشاركتي في الثورة هي الأمل الذي عشت من أجله وتمنيته طوال فترة شبابي خاصة بعد سمعته أنا وزميلي في النضال والدراسة الملازم عبد الله عبد السلام صبره من إبائنا المعتقلين في سجن حجة كيف أن الإمام السفاح أحمد ذبح أحرار اليمن ورجالها الذين كانوا ذخيرة الشعب للخلاص من الحكم الإمامي الحميدي المظلم والظالم والمتخلف عن شعوب العالم والعائش في بحر الظلمات ٠

واعتبر مشاركتي في حدث ثوري إنساني و دوري فيه مهما كان كبيرا أو صغيرا مصدر فخر واعتزاز لي ولأسرتي وأولادي وأحفادي والأجيال القادمة وبكفيني فخرا أنني لم أتقاعس عن هذا الدور أي مقابل لأنني نذرت هذا العمل الوطني لله والوطن والثورة لا أريد من ورائه جزاء ولا شكورا فهو واجب وطني بحت ليس لي فيه أي فضل ٠

● نعرف جميعا مدى تحمس الشباب واندفاعه نحو التغيير الى الأفضل لاسيما عندما يتعلق الأمر بالخلاص من جور حكم إمامي بغيض ، هل يمكن الإبحار بمشاعركم المتقدة في هذا الاتجاه وماذا تقولون ؟

– جبلنا تربى على رفض الظلم ومقاومته بكل الأساليب والكثير منا عانوا من سياسة القمع والتنكيل الإمامي والإذلال في السجون ومن حسن حظ جيلنا أنه عاش مناخ الفترة الذهبية لانتصارات الثورة العربية في مصر وسوريا والعراق ودعوات القومية والوحدة التي أثرت فينا بالإضافة الى تأثرنا بثورة ١٩٤٨ الدستورية ومأساة سقوطها والرؤوس الكبيرة التي حصدها الإجرام الإمامي عقب فشلها حيث كنا ونحن – أطفال – نذهب للفرجة على رؤوس الثوار وهي معلقة فوق مبنى الصيدلية القديمة في ميدان التحرير(أمانة العاصمة حاليا) ونتوقع أن نرى رؤوس آبائنا في أية لحظة بنفس المكان ٠

ثم جاءت حركة الجيش عام١٩٥٥التي تكررت فيها نفس المأساة التي حدثت بعد فشلها حيث ذبح الإمام السفاح أحمد كوكبة جديده من رجالات اليمن ممن نجوا من مذبحته الأولى عام٤٨

كل هذه الأحداث هزتنا في الأعماق وكونت داخل عقولنا فكرة القضاء على تلك الأوضاع الإمامية المزرية ومن هنا نشأت فكرة إنشاء تنظيم الضباط الأحرار الذي ضم كوكبة من خيرة شباب القوات المسلحة بما فيهم وبعضهم التلاميذ من أبناء الثوار والأحرار الذين سبقوهم الى ميدان الجهاد ضد الحكم الكهنوتي.

ويستمر علي عبدالله السلال في متابعة حديثه قائلا:

قد لا تصدق أن ثورة السادس والعشرين من سبتمبر قد جمعت بين ثلاثة من ثوار ٤٨ وأبنائهم الشباب الذين انخرطوا عن قناعة تامة في صفوف الثورة وهم :

نجل المناضل الكبير والثائر الحر القاضي عبد السلام صبره (اللواء عبد الله –) واللواء المرحوم محمد حسن العمري نجل الفريق حسن العمري – بطل حرب السبعين يوما وا للواء علي عبدالله السلال – أبن قائد الثورة وحامي نظامها الجمهوري – الذي كان يقود معارك الدفاع عنها في ٤٢ جبهة عسكرية و اتسمت بشحه الإمكانيات وتعرضت للكثير من التحديات والصعاب وجاء دعم عبد الناصر ومشاركة الجيش المصري جنبا الى جنب مع الجيش اليمني ومشائخ ورجال القبائل وأفراد الحرس الوطني وبلوكات الجيش النظامي حتى كتب للثورة ونظامها الجمهوري النصر المبين وبذلك تكللت جهود شباب القوات المسلحة ومفجري الثورة وقيادتها الشجاعة والحكيمة بالنجاح

تسلمت قائمة الاعتقالات من الزعيم حسين الدفعي وقدنا مدرعة للقبض على أميري الجيشين في النظام الإمامي عند باب اليمن

(زواج الكريمة) الشفرة العسكرية التي مكنتني من القيام بدور محوري ليلة الثورة بعد إبعادي الى رداع

ابتداء المشوار

● تحديد نوعية اسهامكم في الاعداد والتخطيط للثورة؟

– تمثلت مشاركتي في التخطيط للثورة من خلال تأهيل نفسي لساعة الصفر المنتظرة عبر التحاقي بمدرسة الأسلحة التي تلقيت فيها تدريبات مختلفة على جميع الأسلحة الخفيفة، ثم التحقت بمدرسة المدرعات الخفيفة مع الزملاء أحمد الرحومي والشهيد النقيب علي بن علي علاية ورفقاء آخرين ممن شاركوا في تفجير الثورة السبتمبرية، وبمجرد سماعي بالتوجهات (آنذاك) لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار أبدت كامل استعدادي وتقدمت للانضمام لهذا التنظيم عبر زميلي الشهيد علي علاية الذي وعدني خيرا .. إلا أن التهمة الموجهة إلي من قبل أحمد عبدالرحمن الشامي بأنني أوزع منشورات، وانستر على من يقومون بتوزيعها في شوارع صنعاء من طلبة الكلية العلمية والثانوية بخط اليد، وكنا بالفعل قد اطلقنا سراح مجموعة من طلبة العلمية بأوامر من العميد عبد الله الضبي مدير الأمن العام بعد أن ابلغناه بأن حرس الليل قبضوا عليهم بتهمة توزيع منشورات، ونحن نخاف عليهم من زجهم في سجن القلعة والرادع، فأمر مدير الأمن العميد عبد الله الضبي (شفاه الله) باطلاقهم، وقد كان من الثوار الأحرار الذين انقذوا الكثير من الزج بهم في سجون الإمامة، وكنت أحدهم فقد طلب الإمام ردا على برقية الشامي بإيداعي في السجن .. لكن مدير الأمن توسط لي لدى ولي العهد البدر بأن اخرج من صنعاء وأعين في رداع، وعندها خيرني بين السجن والتعيين في احدى ادارات الشرطة، واخترت الذهاب إلى مدينة رداع كمدير لشرطتها، ولذلك لم أتمكن من متابعة نشاط تنظيم الضباط الاحرار أو ادعي انني أسهمت في الاعداد للثورة والتخطيط لها .. لكن لي شرف المشاركة فيها بفضل التواصل المستمر مع زميلي الشهيد علي علاية بعد أن اتفقنا على شفرة يتم ابلاغي بواسطتها بموعد قيام الثورة، واعتبر نفسي ضابط في تنظيم الضباط الاحرار.

- وحتى وصلتني رسالته (الشفرة) التي أخبرني فيها بأنه تم تحديد موعد زواج الكريمة خلال أسبوع ولا عذر للتأخير، وعلى الفور تحركت من رداع ووصلت إلى صنعاء قبل قيام الثورة باربعة أيام فقط.

تأمين الثورة

● كيف تحددون موقعكم من تنظيم الضباط الأحرار ؟

– موقعي من تنظيم الضباط الأحرار كما ذكرت في معرض إجابتي على السؤال الأول أنني بعد وصولي صنعاء طلبت من زميلي الشهيد علي علاية أن يبلغ الأخوة باستعدادي للمشاركة في ساعة الصفر فحدد لي بالضبط الموعد والساعة والمهمة الموكلة إلي من قبل التنظيم وكنت في الموعد المحدد بإدارة شرطة باب اليمن تحت قيادة الرئيس أول حسين الدفعي _احد ضباط الثورة– والذي سلمني قائمة بالمطلوب اعتقالهم وكلفني مع زملائي الشهيد الملازم محمد الاشموري والشهيد الملازم علي الخولاني من ضباط الثورة بأن نقود مدرعة خفيفة وصلت من الكلية الحربية

_مقر قيادة الثورة – ونذهب لاعتقال أميري الجيشين الدفاعي والنظامي الزعيم محمد الضمين والعقيد عبدالقادرأبو طالب وكانت من أحرج اللحظات سردتها بالتفصيل في مذكراتي

● هل لكم أن تحددوا بالضبط الدور الذي قمتم به ليلة الثورة وطبيعة المهمة المسندة على عاتقكم والضباط الآخرين من زملائكم وماذا ترتب عليها من نتائج ؟

– كفلت باعتقال أهم العناصر من مسئولي السلطة في العهد الإمامي المباد ومعي الاخوة الملازم محمد الاشموري وعلي الخولاني ثم انضم الينا ونحن في الطريق لتنفيذ المهمة الملازم أول حميد سوار والملازم الشهيد قاسم الاميروضباط الصف احمد الترابي و عبدالله الفراص من ملاك الشرطة ,و استطعنا القبض على كل المطلوبين الذين حوتهم القائمة وترتب على نجاح مهمتنا أهم النتائج حيث تمكنا من تأمين الثورة من رجال كان يمكن أن يلعبوا دورا مهما في إفشالها أو محاربتها لو تمكنوا من الانضمام الى صفوف الملكية بعد قيام الثورة وفي مقدمة هؤلاء الأمير الحسن بن علي والمنافسين على منصب الإمامة وكبار رجال الدولة في العهد البائد

● هل تقيدتم بتنفيذ مهمتكم كما خطط لها أم طرأ عليها تعديلات فورية أملتها الظروف (آنذاك)؟

– نفذنا مهمتنا بحسب مخطط تنظيم الضباط الأحرار ولم تحصل تعديلات على الخطة الموضوعة إلا بعد تمكن أميري الجيشين النظامي والدفاعي من الهرب من قبضتنا وقد وصلنا بوابة باب اليمن فهربا وقصدا ثكنة المدفعية ثم تولى الزعيم المشير عبدالله السلال قائد الثورة تكليف الملازمين البطلين علي عبد المغني وأحمد مطهر (رحمهما الله) بمطاردتهما والقاء القبض على أميري

ثوار مزيفون

● ظهرت الكثير من الكتابات التي تجردت من المسئولية الوطنية والأمانة التاريخية في سرد وقائع الثورة الحقيقية بحيث طغت عليها الجوانب الذاتية لكاتبيها في أحداث وأزمنة لم يكونوا صانعيها أو حاضريها، كيف يكون الرد على أمثال هؤلاء ,وماذا تقولون ؟

– ما ظهر حتى الآن من كتابات باستثناء أسرار ووثائق الثورة الذي عكف على كتابته لجنة من تنظيم الضباط الأحرار بعيد كل البعد عن الحقيقة ومجافاة للكثير من أسرارها ووقائعها التي لا يزال الكثير منها مخزوناً في قلوب وعقول قادتها البارزين ومن تبقى من رؤساء الخلايا على قيد الحياة الذين أناشدهم باسم الثورة وقداسة النضال أن يتصدوا للصوص الأدوار وأقلامهم الحاقدة ونفوسهم الخالية من كل ذرة ضمير وذلك بإبراز المواقف النضالية لصانعي الثورة وأبطالها الحقيقيين الذين شاركوا معهم ليلة الـ٢٦ من سبتمبر وقاتلوا في المعارك دفاعا عنها في كل جبل واود ساعتها ستظهر ادعاءات كل المزيفين الذين أرادوا أن يخلقوا لأنفسهم بطولات مضحكة وبطريقة تافهة تمكن كل من قرأ ما كتبوه من كشف زيف كل ما نسبوه الى أنفسهم من أدوار ٠

وتلك الكتابات ليست تشويها لأدوار المناضلين والقادة الحقيقيين للثورة وصانعيها فحسب بل أن الهدف الجلي يتمحور في الإساءة عن عمد الى تاريخ الثورة السبتمبرية الناصع والانتقاص من عظمتها وكينونتها ودورها التاريخي في إنقاذ شعب كاد أن ينقرض في ظل ثالوث الإمامة المخيف (الجهل والفقر والمرض).

واعتقد أن عزوف معظم زملائنا عن كتابة التاريخ والتحدث الى الصحف وبقية وسائل الإعلام يكمن في الأحوال الصعبة التي يعيشها البعض منهم والمعاملة السيئة التي يتلقونها في بعض الأجهزة الحكومية ولولا تدخل الرئيس المناضل الأخ علي عبد الله صالح للتخفيف عنهم لمات معظمهم كمدا من أولئك الذين تنكروا لأدوارهم العظيمة بالإضافة الى قوى الردة والظلام والساعين لتصفية الحسابات مع المناضلين والثوار وأبنائهم وهم الذين تسول لهم أنفسهم أو هكذا يتوهمون بأنهم سيتمكنون من تصفية الثورة ونظامها الجمهوري ,وذلك من سابع المستحيلات !

● أجمع الضباط الأحرار على اختيار الزعيم المشير عبدالله السلال لقيادة الثورة لتوفر كل المواصفات اللازمة في شخصه لتحمل مسئوليتها بعد أن أعتذر الزعيم حمود الجائفي عن تحمل تلك المسئولية ٠٠ فإلى أي مدى تتفقون مع هذا الإجماع ؟

حقيقة جوهرية

– اختيار المشير الراحل عبدالله السلال لقيادة الثورة قبل قيامها لا يختلف عليه اثنان فقد رأى التنظيم في شخصيته وحكمته وشجاعته ومعرفة الناس به وعلاقته معهم أنه المؤهل لقيادة حركة ثورية جريئة لم يجرؤ أحد آخر على التقدم لقيادتها ولهذه الأسباب تم اختياره بإجماع الضباط الأحرار ٠

أما قصة القيادة الجماعية التي أخترعها البعض _سامحهم الله – كانت لإرضاء من ينكر قيادة المشير السلال للثورة فقد كان كل الموجودين من الضباط ليلة ساعة الصفر هم القيادة المكلفة من قبل التنظيم بغرفة العمليات فقط بعد أن تم توزيع كل ضباط التنظيم على مهام عسكرية خارج مبنى القيادة وما تأخير إرسال المدرعة المكلفة بإحضار قائد الثورة المشير السلال إلا لأحد سببين الأول انتظار وصول اللواء المرحوم حمود الجائفي والثاني اعتقاد اللواء عبدالله جزيلان أنه يمكنه قيادة الثورة بمفرده– كما أدعى – فلما بدأت المواقف تتأزم واستحال فتح قصر السلاح قرر الأخوة في غرفة العمليات إرسال المدرعة صحبة اللواء الثائر أحمد الرحومي واللواء الشهيد صالح الرحبي لاحضار قائد الثورة الذي أختاره تنظيم الضباط الأحرار لإنقاذ الموقف الذي واجهوه من الفشل ولولا وصوله في الوقت المناسب لكانت الثورة قد تعرضت لخطر السقوط وهذا هو جوهر الحقيقة.

وقضية قيادة السلال للثورة محل إجماع تنظيم الضباط الأحرار و لا ينكرها إلا من لم تكن لهم أدوار تذكر في تلك الليلة الخالدة وهي حقيقة ناصعة سجلها التاريخ بحروف من نور لن يستطيع أي أحد أن يطمسها مهما طال الزمن أو قصر وسياتي اليوم القريب الذي ينصف فيه المؤرخون المحايدون المشير السلال ويعطوه حقه ويسجلوا دوره البطولي الشجاع منذ ليلة الثورة حتى خروجه وهو منكب على حمايتها وإدارة معارك الدفاع عنها في أربعين جبهة عسكرية بكل شجاعة وحزم وأقتدار حفظت للثورة هيبتها وقوتها على الصيرورة وحافظ على الصف الثوري من الانقسام والتراجع والانكسار رغم المؤامرات الداخلية والخارجية.

■ المشير السلال محمولا على اكتاف الجماهير.

■ المناضل علي عبدالله السلال وزميله الملازم الشهيد علي علايه بعد قيام الثورة باشهر قليلة.